

مواقف ومناقشات علماء الغرب الإسلامي للفكر العقدي الأشعري

في بلاد المغرب 1056-1269م

Attitudes and discussions of Western Islamic scholars on doctrinal thought Ash'ari

In the Maghreb 1056-1269 A.D

د. مقصودة محمد¹

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة طاهري محمد بشار

histmak12@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/12/01 القبول 2022/01/20 النشر على الخط 2022/05/10

Received 01/12/ 2020 Accepted 20/01/2022 Published online 10/05/2022

ملخص:

تروم الورقة الاستثمار والبحث في مسألة مسارات التطور العقدي في بلاد المغرب الإسلامي، خلال الفترة الممتدة من 1056 إلى 1269م، وهي المرحلة التاريخية التي شهدت انتصاب سلطتي المرابطين والموحدين تباعاً، وعرفت العديد من التجاذبات الفكرية والسياسية، خضعت في خضمها المسألة العقدية لنقاش كلامي و فلسفي متأثرة في ذلك بالظرفية السياسية والاجتماعية العامة، فكان من نتائجها ظاهرة التحول المذهبي في بلاد المغرب، والتي عمل عديد المتدخلين من علماء وسياسيين على تأطيرها وتطويرها وتوجيهها وفق مشارب وغايات مختلفة، لتستقر رسمياً و فكرياً ومن ثم مجتمعياً على العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي محقة بذلك وحدة ثقافية و عقدية مهمة حالت دون تسرب المذاهب المنحرفة والأفكار الضالة .

الكلمات المفتاحية: الأشعرية، المعتزلة، الموحدون، المرابطون، محمد بن تومرت.

Abstract :

The document intends to invest and research on the issue of nodal development in the Islamic Maghreb, during the period from 1056 to 1269, it is the historical phase which saw the installation of the Almoravid and Almohad powers successively , and also experienced many intellectual and political interactions, in the midst of which the nodal question was the subject of a verbal and philosophical debate influenced by the general political and social situation, and one of its results was the phenomenon of doctrinal transformation in the Maghreb countries, that many academics and politicians intervened to frame it, develop it and direct it according to different ways and ends, to settle officially, intellectually, and then socially, on the doctrine of Acharism and the Malikism school realizing an important cultural and ideological unity preventing the penetration of perverted doctrines and erroneous ideas.

Keywords: Ash'ari, Mu'tazila, Almohads, Almoravids, Muhammad bin Tumart.

1. مقدمة:

يعدّ الوعي بتاريخ الأفكار والمعرفة البشرية من أعظم وأهم حقول المعرفة الحديثة، فهو وعي بدور الزمان والأفكار بوصفهما عاملا للتقدم والتطور، وإطارا للصيرورة البشرية التي تنتظم مسارها صعودا من الأدنى إلى الأعلى ومن البسيط إلى المعقد ومن الجزئي إلى الكلي، مشكلة بذلك نظاما معرفيا من خلال مجموع العلاقات والممارسات الخطابية المنتجة للأفكار والمقولات المتغيرة. ورغم أن النص الديني كان ولا يزال أحد مرتكزات العقل المسلم ومرجعه الأساس، إلا أن إشكالية التفسير والمعنى والتأويل والمجاز والإثبات أثرت على الوضع المعرفي والدور الحضاري للعالم الإسلامي شرقا وغربا. ففي حين وجدت البيئة المعرفية في المشرق نفسها وجها لوجه مع الفكر اليوناني والفارسي والهليني، فكان التصادم المولد للمقولات الكلامية ومن بعدها الأشعرية باعتبار الجدول مع الآخر أساس الإنتاج الفكري ومحركه.

بالمقابل اتسمت الأطر والبيئة المعرفية في بلاد الغرب الإسلامي بضعف البنى الفكرية الرافضة لعلم الكلام أو المخالفة للأفكار الأشعرية، مما قلل من حدة الجدول ومساحات الاستقطاب وسمح في ذات الوقت بتشكيل منهج وفكر كلامي مغربي استطاع أن يتجاوز خلافات وبدع غلاة المدارس العقدية، وأن يؤسس لفكر عقدي واحد ساهم في تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي المغربي بعد أن نجح في تكوين مرجعية جامعة شارك في بنائها المتكلم والفقيه والمتصوف.

و إذا كان الفقهاء في المشرق ينفرون من علم الكلام والمتصوفة منهم يخشون شبهته، فإن كبار متكلمي بلاد المغرب هم في الأصل كبار الفقهاء الذين كان أغلبهم متصوفة متكلمين. وهو المعطى الذي ساعد العقيدة والأفكار الأشعرية على التطور والانتقال من دائرة العلماء والفلاسفة الضيقة إلى معالجة شبهات التكفير والتشكيك والتبديع التي عانى منها المسلمون زمنا طويلا، فوضعت بذلك حدا للصراع الفكري الذي كان وقوده تكفير الفرق الإسلامية بعضها بعضا ولا أدل على ذلك من مجانية مؤسس المذهب الإمام أبو الحسن الأشعري تكفير أحدا من المسلمين بناء على رأي في قضية تحتمل الخلاف.

بناء على ما تقدم تسعى هذه الورقة الموسومة "مواقف ومناقشات علماء الغرب الإسلامي للفكر العقدي الأشعري في بلاد المغرب 1056-1269م"، لمعالجة سؤال رئيس يسلط الضوء على طبيعة النقاش الكلامي الذي عرفته حواضر المغرب الإسلامي، خلال الفترة محل البحث والتي شهدت أفول دولة المرابطين لصالح الموحدين، مسهمة بذلك في تطوير وانتشار طريقة أبي الحسن الأشعري في عرض عقائد أهل السنة والجماعة. وهو ما يمكننا من استخلاص أهم السمات والمعالن التي تميز بها هذا الفكر والتي أعطته القبول الفكري والشرعية السياسية، خاصة بعد أن نجح في التوفيق بين ثنائية العقل والنقل من جهة وبين أصول ومقاصد الشريعة من جهة أخرى. نجاح جعل فقهاء المالكية المسيطرين على المشهد الديني والفكري في بلاد الغرب الإسلامي يتقبلون بل ويتبنون العديد من المقولات الكلامية المستقاة من الفكر والمنهج الأشعري للرد على خصومهم ردا منظما على غرار أبو الوليد الباجي و أبوبكر بن العربي وابن رشد.

أما المحاور التي تنتظم الدراسة فتهدف لمناقشة وطرق مجمل الأفكار ذات الصلة، ولهذا الغرض تناول المحور الأول استعراضا مجملا للتطور العقدي الذي عرفته بلاد المغرب منذ افتتح الإسلامي إلى غاية انتصاب سلطة الموحدين، لنتنقل بعدها لتحليل الظرفية التاريخية والأطر العقلية التي عرفت بواسطتها مجتمعات بلاد المغرب الفكر العقدي الأشعري، ونختتم هذه المساهمة بالوقوف عند أهم الآراء والملاحظات والمواقف التي وجهت لهذا الفكر الوافد، العلمي منها والرسمي، وكيف عملت على تبنيه وترسيخه.

2/ التطور العقدي في بلاد المغرب الإسلامي:

لا يخفى ما لعلماء الإسلام من دور كبير في إصلاح ما يطرأ في المجتمع من انحراف عن جادة الدين، والتصدي لمظاهر الزيغ عن الشريعة في مختلف مناحي الحياة. وإنما حمل العلماء هذه المسؤولية لأنهم بمقتضى علمهم قد عرفوا الحق وتحققوه، وتمحضت لديهم مسالكه من مسالك الباطل، فكانوا بذلك مكلفين بتبليغ الحق وإشاعته بين الناس.

وإذا كانت مدارس التاريخ الإسلامي تخبرنا أن الثورات التي تزعمها الفقهاء و علماء الدين انتهت بقيام سلطة سياسية أركانها مقولات علمية دينية، ويمارس فيها الحكم العلماء وفق رؤية مؤسسة على الاجتهاد لإصلاح شؤون الدنيا والدين... إذا كانت أحداث التاريخ تخبرنا أن مثيلات هذه الثورات قليلة، فبالقابل نجد أن بلاد غرب العالم الإسلامي وعلى امتداد تاريخها كانت مسرحا لعديد الثورات الدينية السياسية التي تزعمها علماء دعاة، حتى بات التاريخ الديني والمذهبي للمغرب الإسلامي بابا مهما ومدخلا ممتازا لتفسير الأحداث والإجابة على الكثير من التساؤلات التاريخية، لاسيما وأن معظم الكيانات السياسية التي عرفت هذه المنطقة قامت أساسا على خلفية مذهبية عقدية، الأمر الذي جعلها تعرف الكثير من التحولات و الاستقطابات قبل أن تستقر على ما هي عليه اليوم.

لقد عرفت بلاد المغرب خلال تلك المسيرة الطويلة التي قاربت العشرة قرون تحولات فكرية عقيدة كبرى نلخصها كما يلي:
أول تلك التحولات كان الانتقال من العقيدة السنية الماثورة عن الصحابة والتابعين إلى عقيدة الاعتزال¹ خلال حكم الأغالبة² وكان هذا المذهب قد تسرب قبل ذلك إلى المغرب الأقصى في زمن واصل بن عطاء³ إثر إرسال هذا الأخير لأتباع له أهمهم "عبد الله بن الحارث" فأجابه خلق كثير لدرجة أن بعض المصادر تشير إلى أن قيام دولة الأدارسة⁴ إنما حدث على سند من الاعتزال⁵ الذي سيزول بزوالها. ثم كان تغلغل الفقه المالكي إيدانا بتراجع الفكر الاعتزالي، رغم اعتناق الأغالبة له تزلفا للخلفاء العباسيين⁶.

1- الإعتزال: كان الإعتزال مجرد فعل إلى أن أخذ بعدا عقديا بداية القرن الثاني الهجري باعتزال واصل ابن عطاء مجلس الحسن البصري بعد خلاف معه حول مسألة حكم الفاسق، لتنشأ بذلك إحدى كبرى الفرق الكلامية الإسلامية التي انطلقت من قضية العقل والنقل ثم تطورت المسائل الخلافية مع أهل السنة لتشكّل منظومة من العقائد والأفكار أهمها المسائل الخمسة التي لا يعد معتزليا من لم يقل بها وتتعلق بالتوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. للمزيد حول التشكّل التاريخي للمعتزلة راجع: محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ط4، دار الشروق، القاهرة، مصر، ص ص 47-49.

2- الأغالبة: أو بنو الأغلب ينتهي نسبهم إلى قبيلة تميم العربية حكموا مناطق شرق الجزائر و غرب ليبيا وتونس، خلال الفترة من 800 إلى 909م. مؤسس الدولة هو إبراهيم بن الأغلب الذي عين من طرف الخليفة العباسي هارون الرشيد حاكما على القيروان ليستقل بعدها بالحكم، حكمة³ وقد فتح الأغالبة جزيرة صقلية وظلوا يتوارثون الحكم إلى أن قضى عليهم الفاطميون. للمزيد أنظر: محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 121 و 488.

3- واصل بن عطاء: هو أبو حذيفة واصل بن عطاء ولد سنة 700م بالمدينة المنورة وتوفي سنة 748م بالبصرة، مؤسس مذهب الإعتزال ويسمى أتباعه كذلك بالواصلية، من شيوخه محمد ابن الحنفية وابنه عبد الله إشتهر بالتقوى والورع وبآرائه الكلامية التي تطورت في شكل مذهب المعتزلة. للمزيد أنظر سليمان الشواشي، واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية، الدار العربية للكتاب، 1993، ص ص 25-28.

4- دولة الأدارسة: سميت كذلك نسبة لمؤسسها إدريس الأول (788-793م)، تعتبر أول كيان سياسي للعلويين وأول دولة بالمغرب الأقصى، بلغت أوجها في عهد إدريس الثاني وكانت عاصمتها ويلي ثم فاس وتداول على حكمها ثلاثة عشر أميرا خلال الفترة الممتدة من 788 إلى 974م. للمزيد أنظر سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 788-853، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1978، ص ص 78-80.

5- يذكر المؤرخ ياقوت الحموي أن أنصار واصل بن عطاء في بلاد المغرب شكلوا تجمعا يدعى "بجمع الواصلية" كان مقره قريبا من مدينة تيهرت، وأن عددهم بلغ حوالي ثلاثين ألفا كانوا ينتجعون في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها. للمزيد أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، دار الفكر، بيروت لبنان، ص ص 7-9.

6- عمل الأغالبة على ترسيخ الفكر المعتزلي من خلال من خلال نشر تشجيع الخطأ والخطب التي تقول بخلق القرآن، وقرأتها على المنابر وحمل الناس عليها بالإكراه، فضلا عن امتحان العلماء وحتى العوام ومعاينة من لايقول بخلق القرآن، فنعرض بسبب هذه السياسة الكثير من العلماء للتكثير والتجسير. للمزيد أنظر: إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ط1، دار الرسالة، للطباعة والنشر، 2002م، ص 299.

كان هذا السلوك فاتحة لانتقال وظهور العديد من المدارس والمذاهب الكلامية¹ والعقدية التي لم يعهدها مجتمع بلاد المغرب² الذين كان دأبهم التقليد للسلف خاصة في مسائل العقيدة والإيمان والابتعاد عن التأويل³، وهو المعطى الذي فسره محمد عابد الجابري بالخلفية السياسية التي لبست لبوسا دينيا فـ "الحركات التنويرية الاعتزالية كانت حركة سياسية معارضة بالدرجة الأولى خصوصا في الأطراف"، والمقولات العقدية الكلامية بحسب الجابري ما كان لها أن تلقى قبولا وانتشارا في بلاد المغرب لو لم توظف سياسيا⁴. ورغم وجاهة هذا الرأي إلا أن فهمي جدعان ومن خلال كتابه "المنحة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام" يغلب عليه سببا آخر كان وراء انتشار مقولات واصل بن عطاء، فالاعتزال نشأ من قضية كلامية إسلامية تتعلق بالمنزلة بين المنزلتين⁵، إلا أنه وفي وفي خضم الصراع الفكري ضد الديانات الأخرى تطور ليختص بالرد على أتباع هذه المذاهب المخالفة للإسلام، أي أن الهدف الديني الفكري المتمثل في الذود عن الإسلام كان الدافع الأساس الذي حمل المعتزلة على الانتشار في الأفق النائية عن مركزهم ببلاد المشرق نشرا للإسلام ودفاعا عنه⁶.

أما ثاني المذاهب العقدية التي أسست لكيان سياسي فكان المذهب الخارجي الإباضي الذي استلهمت منه الدولة الرستمية⁷ أسسها الدينية والسياسية، ولأنه أقرب مذاهب الخوارج إلى معتقدات أهل السنة فقد اعتنقه خلق كثير والتزموا تعاليمه وشرائعه، بعد أن وجدوا فيها ما ينفس غضبهم من ممارسات عمال الخلفاء العباسيين في بلاد المغرب⁸، خاصة ما يتعلق بإسقاط شرط النسب القرشي في من يتولى منصب الإمامة الكبرى، والدعوة للخروج والثورة على أئمة الظلم والجور متى ظهر منهم ذلك⁹.

وفي إطار الحركات المذهبية ظهر ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الثاني الهجري المذهب الشيعي خاصة بعد دخول "عيسى بن محمد النفس الزكية"¹⁰ إلى المغرب الأقصى، والذي عزز المحبة والولاء لآل البيت بين أوساط ساكنة بلاد المغرب، ثم كان قيام دولة الأدارسة على يد

¹ - علم الكلام: هو علم يقتدر منه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، فالتكلم يستند إلى ما جاء به الدين من اعتقادات، ثم يلتمس الحجج العقلية التي تدعمها، أما الفيلسوف فيبحث بعقله ويرى حقا ما يتوصل إليه بالدليل دون نظر إلى ما جاء به الدين، المتكلم يعتقد ثم يستدل، أما الفيلسوف فيستدل ثم يعتقد. جمال المرزوقي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص ص 11-12.

² - تجدر الإشارة إلى أن تقبل مقولات المذاهب الكلامية والفلسفية كان أقل حظا في المغرب الأدنى (تونس) مقارنة بما كان عليه الوضع في كل من المغربين الأوسط والأقصى في نفس الفترة.

³ - أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط1، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص 63.

⁴ - محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتحليلاته، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص ص 352-353.

⁵ - المنزلة بين المنزلتين: أحد أصول مذهب الاعتزال، وتعني أن مرتكب الكبيرة أو الفاسق هو في منزلة وسط بين الكفر والإيمان. لمباينته درجات الكفار وأحكامهم ودرجات المؤمنين وصفاتهم، وهو مغلد في النار وإن كان في درجة أقل من المشركين والكفار. محمد عمارة، مرجع سابق، ص 54.

⁶ - فهمي جدعان، المنحة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام، ط3، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014، ص 49 وما بعدها.

⁷ - أسسها الداعية عبد الرحمان بن رستم بن بهرام أحد فقهاء الإباضية، فر من القيروان بعد أن إسترجعها العباسيون سنة 144هـ (م) ليستقر بمدينة تيهرت بالجزائر أين أسس الدولة الرستمية سنة 161هـ وتوفي سنة 171هـ. وفي المغرب الأقصى قامت دولة بني مدرار (بني واسول) في سحلماسة على المذهب الخارجي الصفري (757-976م) للمزيد أنظر: أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تح إبراهيم طلاي، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974م، ص ص 40-41.

⁸ - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح إحسان عباس، ط2، ج1، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983، ص 52.

⁹ - محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 184.

¹⁰ - محمد النفس الزكية: هو محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولد بالمدينة المنورة سنة 100هـ الموافق 718م، قاد ثورة العلويين في الحجاز وجنوب العراق ضد خلافة العباسيين سنة 762م، كان يرى نفسه أحق بالخلافة من أبي جعفر المنصور العباسي الذي إستطاع بدهائه قمع الثورة وقتل النفس الزكية سنة 145هـ / 762م بالمدينة المنورة. أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1998، ص ص 206-209.

إدريس الأول، وقد عمل الشيعة على الترويج لفكرتين أساسيتين أولهما المفاضلة بين الخلفاء الراشدين وحصر الخلافة في ذرية سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واعتبار أي خلافة قائمة في غيرهم اغتصاب لحقهم. والفكرة الثانية ضرورة وجود إمام الزمان الذي لا يتم الدين إلا به، والإيمان بهذه الفكرة هو أحد أركان الإيمان لدى الشيعة الذين يفرضون على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه¹. وقد مهد انتشار هذه الأفكار الدخيلة على المجتمع لقيام الدولة الفاطمية لاحقاً، وقبل ذلك كان "محمد بن عيسى القرشي" المعروف بالأعشى (ت 221هـ) قد لعب دوراً كبيراً في نقل الثقافة والفكر الشيعي إلى الأندلس. وما كاد القرن الثاني الهجري ينصرم إلا ومعظم أقطار بلاد المغرب ترزح تحت حكم دولة سياسية شيعية، نجحت في نشر دعوتها بفضل حسن التدبير والتنظيم وسياسة الانبثاق بين القبائل البربرية مستغلين حبهم لآل البيت²، كما أتاح لها انهيار حكم الأغالبة سنة 909م أن تبسط سيطرتها على معظم الشمال الإفريقي الذي سيصطلي بنار الحركات الباطنية³ حتى نهاية القرن الرابع الهجري (10م)، الذي شهد تراجع القبضة الفاطمية على بلاد المغرب بعد توجيهها نحو المشرق تكريساً لنزعتهن التوسعية⁴.

كان من أهم نتائج الوجود الفاطمي انتشار ظاهرة ادعاء المهادوية أو عقيدة المهديّة بين من يتطلعون لتأسيس زعامة دينية أو سياسية⁵، والذين سيكون من أشهرهم وأبرزهم المهدي بن تومرت مؤسس الحركة الموحدية التي ظهرت على أنقاض دولة المرابطين السنية⁶ التي كان لها دور كبير في استعادة مجتمعات المغرب لعقيدتها السنية وترسيخ المذهب المالكي⁷، لدرجة وصفها بدولة الفقهاء بسبب الدور المهم الذي اضطلع به الفقهاء في تسيير الشأن العام خاصة في عهد يوسف ابن تاشفين (1056-1106م) الذي استطاع الانتقال بالمرابطين من مرحلة

¹ - محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا و علي حسن فاعور، ط3، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1993، ص 169.

² - محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام، ط2، دار النفائس، بيروت، 2007، ص 77 وما بعدها وص 526.

³ - الحركات الباطنية: يقصد بها الحركات والأفكار والجماعات التي عرفت في التاريخ الإسلامي بنشاطها السري حيث غلب عليها أسلوب التقية والتخفي سواء من حيث التنظيم أو وسائل العمل والتأويل في الجانب الفكري، ويعتبر الشيعة بمختلف طوائفهم من أوائل وأشهر الحركات الباطنية لأن التشيع لآل البيت كان ثوباً يختبئ وراءه كل من يبذر الفتن ضد الإسلام، وبسبب نجاح هذا الأسلوب في تحقيق بعض أهدافه فقد ظهر في تاريخ الإسلام العديد من الحركات الباطنية من أشهرها القرامطة، الإسماعيلية، الدرّوز، النصيرية وغيرهم. محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ط2، مكتبة الأقصى، عمان الأردن، ص 20-21.

⁴ - ظهرت الدولة الفاطمية نتيجة عمل طويل من طرف أنصار الدعوة الشيعية الإسماعيلية، تسمى كذلك بالدولة العبيدية نسبة لأبي عبيد الله المهدي الذي نجح في إقناع عديد الناس بمذهبه فأقام سنة 912م دولة شيعية وفق المذهب الإسماعيلي على أنقاض الأغالبة. كانت عاصمتها المهديّة قبل أن ينتقلوا إلى مصر سنة 969م بعد أن استتب لهم الأمر وقوية شوكتهم، في إطار مشروع توسعي إستمر أكثر من قرنين قبل أن ينهي صلاح الدين الأيوبي حكمهم سنة 1171م. محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 79 وص 522.

⁵ - عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه، ط1، 1993، ص 416-418.

⁶ - دولة المرابطين: وتسمى كذلك دولة الملتئمين حكمت المغرب والأندلس وغرب الجزائر في أقصى إتساعها خلال الفترة من 1040 إلى 1147م، عاصمتها فاس ثم مراكش، أهم رجالها عبد الله بن ياسين ويوسف بن تاشفين اللذين سعيا لمحاربة جميع أشكال الضلال والانحراف التي تسربت لبلاد المغرب ونشر الإسلام في غرب إفريقيا، فضلاً عن الانتصار الساحق على المسيحيين في موقعة الزلاقة سنة 1086م، تجدر الإشارة كذلك إلى أنه وقبل المرابطين يعود الفضل في القطيعة مع المذهب الشيعي في بلاد المغرب إلى دولتي بني زيري (937-1146م) والحماديين (1014-1152م) خاصة في عهد الأمير الزيري المعز بن باديس (ت 454هـ-1026م) الذي أعلن الولاء للدولة العباسية وأمر بالقضاء على كل ما يمت للفاطميين من مظاهر بدعية كلعن الصحابة على المنابر وزيادة عبارة "حي على خير العمل في الأذان" والاعتقاد بالإمام المهدي وغيرها. أما الحماديين فقد اتبعوا أسلوب التصفية التامة منذ عهد مؤسسها حماد بن بلكين الصنهاجي (396-419هـ) لكل مظاهر التشيع، وهو ما يعتبره بعض الباحثين نوعاً من التصالح مع القاعدة الشعبية السنية المالكية وسانحة لدولة الحماديين للتخلص من التبعية للفاطميين مستغلين في ذلك الدعم المطلق من الفقهاء المالكية الذين أفتوا بجواز تلك التصفية كونها نوع من التطهير المذهبي ورجوع للأصل السني ومن يقوم به إنما ينتصر للحق ويدافع عنه. للمزيد أنظر: السلاوي الناصري، مصدر سابق، ص 194. وأيضاً ج2، ص 22.

⁷ - عبد الله العروي، تاريخ المغرب محاولة في التركيب، ترجمة وتحقيق ذوقان قرقوط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977، ص 162.

الدعوة إلى الدولة. ولا أدل على ذلك من اشتراطه على من يوليهم القضاء "ألا يقطعوا أمر ولا ييثوا في حكومة في صغيرة من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما، لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس"¹.
تبنى المرابطون آراء ال

إمام مالك ابن أنس (93-179هـ) الفقهية والعقدية بشكل مطلق، ففي مجال التشريع كانت الخطوة لمن علم الفروع والدقائق من المذهب، وفي مجال العقيدة هاجم فقهاء المرابطين علم الكلام وقبحوه وقلدوا الإمام مالك وجمهور أهل السنة والجماعة في الإيمان بالصفات الآلهية والمتشابهة، فأثبتوا الصفات من غير تشبيه ولا تمثيل ونزهوا من غير تأويل ولا تعطيل².

من جهة أخرى يرى بعض الدارسين أن العقلية المحافظة والمفرطة في الفروع التي تشبث بها فقهاء المرابطين، لم تستطع أن تصمد أمام التحولات الفكرية العميقة التي كانت تعرفها دول المشرق، والتي كان أصحابها حريصين على أن تصل آرائهم ومذاهبهم لمختلف بقاع العالم الإسلامي ومنها بلاد المغرب، أين كانت القيروان بالمغرب الأدنى بوابة الغرب الإسلامي ومعر الآراء والمذاهب إليه.

3. الأشعرية ببلاد الغرب الإسلامي الظرفية التاريخية والأطر الفكرية:

مع نهاية القرن السادس الهجري بدأت سنة التداول والمدافعة تعرف طريقها لأركان الدولة المرابطية مؤذنة بنهاية دولة لم ينتبه حكامها وعلمائها للتطور الحاصل في النقاش الكلامي إزاء قضايا العقيدة والإيمان، وما يترتب على ذلك من التبديع والتكفير المفضي للفتن. ولعل حاجة ساكنة بلاد الغرب الإسلامي إلى طرائق الاستدلال العقلي للرد على مختلف الفرق والآراء الكلامية المتدخلة في تشويش الذهن العقدي (القدرية، المرجئة، المعتزلة، الشيعة، الخوارج...) والتي اشتهر بها الأشاعرة في جدهم³، والمتتمثلة أساسا في القدرة على عرض عقائد أهل السنة والجماعة وصياغتها تارة في قالب كلامي لمواجهة المخالفين، وتارة أخرى في طابع تقريرى لتقريب العقائد من الناس⁴ وتبسيط إشكالاتها، هي أهم دوافع التحول من مذهب أهل الحديث إلى تبني آراء أبي الحسن الأشعري الكلامية⁵ ورغم أن أغلب الكتابات التاريخية تربط بين هذا التحول العقدي وظهور شخصية محمد بن تومرت⁶ إلا أن هناك من الباحثين من لا يرى لهذه الدعوى أية قيمة قيمة علمية مميزين بين وضع الأشعريين و الأشعرية قبل ابن تومرت باعتبارها مواقف إيمانية ينسب متبنيها إلى هذه العقيدة، و بعده باعتبارها نسقا متكاملًا يؤثر في أغلب الأفكار الدينية في بلاد المغرب⁷.

وعليه فإن ظهور الأفكار الأشعرية في الغرب الإسلامي إنما هو نتاج تضافر عوامل سياسية واجتماعية وأخرى مذهبية دفعت باتجاه هيمنتها وانتشارها بعد أن كانت محصورة ضمن أتباع المذهب الشافعي كون الإمام أبي الحسن الأشعري كان شافعي الفقه. ثم امتدت إلى أوساط

¹ - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1989، ص 171.

² - السلاوي الناصري، ج1، مصدر سابق، ص 196.

³ - عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص9. رغم حرص الإمام مالك بن أنس على الابتعاد عن الجدل الكلامي و كل نقاش عقدي لا يبنى عليه عمل خاصة ما تعلق بتعلق بمسائل الذات الإلهية، الصفات، التشبيه والتنزيه وغيرها إلا أن ذلك لم يمنعه من القول و الفصل في بعض التصورات العقدية بناء على النص الديني، وهو ما تؤكد رسالته لعبد الله بن وهب الموسومة "كتاب القدر وما ورد من ذلك في الآثار" جمع فيها أحاديث حول موضوع القضاء والقدر للرد على القدرية

⁴ - عمار جيدل وشافعي محمد عبد اللطيف، وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية ودورها في البناء الحضاري، أعمال الملتقى الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، الجزائر، 2017، ص 387.

⁵ - السلاوي الناصري، ج1، مصدر سابق، ص 63.

⁶ - هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن تومرت (1077-1130م)، ولد في بلاد السوس جنوب المغرب الأقصى في قبيلة مصمودة البربرية لعائلة متوسطة ذات ذات مكانة دينية، طلب العلم ورحل للمشرق وهي الرحلة التي أحدثت فيه هزة إصلاحية عميقة توجت بدعوة تجديدية على أنقاض المرابطين، ادعى المهدية لنشر أفكاره التي تجسدت بالقوة في شكل الدولة الموحدية. من أهم آثاره كتابه "أعز ما يطلب" ورسالته "المرشدة". للمزيد أنظر: عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 23.

⁷ - أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أو الخطط المقرئية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشقراوي، ط1، ج4، مكتبة مدبولي، القاهرة، 167.

المالكية بفضل الإمام " أبي بكر الباقلاني" ¹ (ت 403هـ) الذي أدى دورا مهما في نشر الفكر الأشعري ببلاد المغرب خاصة وأنه كان مالكي المذهب في الفقه، فكان المغاربة يقصدونه لتتلمذ على يديه في الفقه والأصول، وقد بعث الباقلاني في جملة من بعث من أصحابه إلى بلاد المغرب أبا عبد الله بن حاتم الأزدي إلى الشام ثم إلى القيروان وبلاد المغرب، فدان له أهل العلم من أئمة المغاربة، وانتشر المذهب إلى صقلية والأندلس ².

ومن ثم فقد كان المذهب المالكي هو الإطار الذي ضمنت الأشعرية من خلاله التوطن في مغارب العالم الإسلامي، وهي التي بقيت فيها آراء الإمام مالك سائدة رغم الاختلاف المذهبي في معظم تاريخها، الأمر الذي يكشف عجز المذاهب الكلامية وحتى الكيانات السياسية المختلفة خاصة منها الدولة الفاطمية عن الانتعاش من قوة حضور وتأثير المذهب المالكي، وهو ما يفسر لاحقا إخفاق الموحدين عن إقصاء هذه المرجعية من المشهد الديني العام في بلاد المغرب رغم حملاتهم القوية ضد الفقهاء المرابطين ³.

في هذا السياق نشير إلى بعض أهم علماء المالكية الذين كانوا بوابة وحملات الأفكار الأشعرية لبلاد المغرب، والذين يأتي في مقدمتهم إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي (ت 359-969م) و الذي جعله البرزلي ⁴ من مشايخ الأشعرية، اشتهر بمواجهته للشيعة مما سبب له الكثير من الأذى ⁵.

ومنهم ابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ-986م)، الذي أسهم في إعداد الناس لتقبل أفكار أبي الحسن الأشعري من خلال رسالته المشهورة رغم اختلاف العلماء في مرجعية أفكارها إذا كانت تنبع من آراء الأشعرية أو من عقائد أهل السنة المتعارف عليها مغاربا خاصة وأنها اختلفت عن العقيدة الأشعرية في بعض القضايا ⁶. هذا وقد كانت القيروان منذ وقت مبكر موطنًا لتقبل الفكر الأشعري، الأشعري، ذلك أنه مع سيطرة السلفية عقيدة والمالكية فقها، إلى جانب ظهور فرق مخالفة كالشيعة والخوارج والمعتزلة وبقايا المسيحيين واليهود، حفز هذا المعطى حركة من الجدل والحوار بين هذه الفرق جعلت أنصار كل مذهب يبحثون عن أقوى طرق الاستدلال العقلي لإفحام الخصوم ⁷.

¹ - هو أبو بكر محمد بن الطيب محمد، القاضي المعروف بالباقلاني أو ابن الباقلاني، ولد بالبصرة وسكن بغداد، سمع الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي محمد بن ماسي، وأبي أحمد الحسين النيسابوري، وقد أخذ الفقه على أبي بكر الأبهري، أما علم الكلام فقد درسه على أبي عبد الله بن مجاهد وأبي الحسن الباهلي تلميذ أبي الحسن الأشعري. اشتهر الباقلاني بمقدرته على الجدل وإفحام الخصوم من الشيعة والمعتزلة، كما كان واسع العلم كثير الحفظ ومن أعلم رجال عصره بمسائل الخلاف والعقيدة. للمزيد راجع: أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ط5، دار النهضة العربية، ج2، بيروت، 1985، ص ص 89-90.

² - عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 432

³ - أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص ص 213-215.

⁴ - الإمام أبو القاسم (738-841هـ/1337-1438م) فقيه موسوعي ولد بالقيروان ونشأ فيها، صاحب المؤلفات الكثيرة أحد أئمة المالكية ومفتيها، من أهم مؤلفاته الفتاوى المعروف بجامع مسالك الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام. للمزيد أنظر: محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 352.

⁵ - عبد المجيد النجار، مرجع سابق ص 434.

⁶ - من هذه القضايا مسألتا الإيمان والكرامات، فأما الأولى فقد كان للفقهاء المالكية مواقف متباينة منها، وأما الثانية فلمكانة أهل الزهد والكرامات عند فقهاء بلاد المغرب بسبب دورهم التاريخي في نشر الإسلام بماته البقاع. للمزيد أنظر: أبو الفضل عياض بن موسى (القاضي عياض)، ترتيب المدارك، تحقيق، أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحكمة، بيروت، ج1، ص 310 وما بعدها.

⁷ - للمزيد حول الموضوع راجع محي الدين عزوز، التطور المذهبي بالمغرب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1976. ص 13 وما بعدها وأيضا: عبد العزيز النجار، مرجع سابق، ص 161.

وبالرجوع لابن أبي زيد القيرواني فقد سافر هذا الأخير بدوره إلى المشرق أين إلتقى بأئمة الأشعرية وأخذ عنهم، وكان له صحبة ومراسلات مع تلميذ الإمام الأشعري أبي محمد بن أحمد بن مجاهد (ت370هـ)¹، كما ينسب العلماء له رسالة في الرد على المعتزلة دافع فيها عن أبي الحسن الأشعري واصفا إياه "هو رجل مشهور يرد على أهل البدع والقدرية وعلى الجهمية متمسك بالسنة"². ومنهم أبو الحسن القابسي (ت403هـ-1012م) الذي رحل للمشرق طلبا للعلم وعاد للأندلس مفعما بالفكر الأشعري، متحمسا لنشره ومدافعا عن مؤسسه، وهو صاحب المصنف الموسوم "رسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" اعتمد فيها الأدوات العقلية كالتأويل³ في تفسير الأحاديث التي أوردها واستنباط الأحكام منها، وكذا قياس الغائب على الشاهد كأحد أساليب القياس العقلي، كما تبني موقف الأشاعرة في مسألة الحدوث والقدم، فقال "ويكفيك من فضل القرآن معرفتك أنه كلام الله، وكلام الله غير مخلوق". ولعل هذا الاتجاه الصريح من القابسي هو الذي جعل العديد من العلماء يعدّه أول من حمل الفكر الأشعري إلى الغرب الإسلامي⁴.

ومن أهم تلاميذ القابسي الذين حملوا فكره أبو عمران الفاسي (ت430هـ-1038م)، يشترك مع شيخه في التلمذ على يد الباقلاني، رحل إلى بغداد سنة 399هـ حيث تعلم أصول الفكر الأشعري على يد القاضي الباقلاني، الذي أعجب بذكائه وحفظه. وبعد رجوعه إلى القيروان قصده الناس من كل جهة، وقد كان أبو عمران الفاسي يجلس لشيخه الباقلاني ويعظمه فيقول عنه "رحلت إلى بغداد، فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني ورأيت كلامه في الأصول والفقه، والمؤلف والخوالف حقرت نفسي، وقلت لا أعلم من العلم شيئا رجعت عنده كالمبتدئ"⁵.

وإلى جانب هؤلاء العلماء وغيرهم، عمل دخول وانتقال مصنفات وكتب أئمة المذهب الأشعري لبلاد المغرب على تسريع وتيرة انتشار هذا الفكر واقتناع الناس به. من بين هذه الكتب مؤلفات ابن مجاهد المتقدم ذكره والذي كان إذا ذكره القاضي الباقلاني يقول "شيخنا"، له مؤلفات أهمها كتابه الموسوم "رسالة الحرة" المطبوع تحت عنوان "الإنصاف" وكذا كتابه "التمهيد"، حيث عملت الآراء المتضمنة فيها على إثارة إعجاب مجتمع بلاد المغرب بالباقلاني فكانوا يستفتونه⁶ رغم نأي الدار وبعد الشقة.

وكان لمصنفات بكر بن فورك (ت406هـ) خاصة كتابيه "تأويل مشكل الحديث" و"كتاب اعتقاد الموحدين" اللذين نقلهما العلماء المغاربة، دور بارز في ظهور الأفكار الأشعرية في الأندلس وممارستها نوع من السلطة العلمية مقابل السلطة التي كان يمثلها الأصوليون والمحدثون، الذين كرهوا الجدل في العقيدة والكلام خاصة ابن حزم (ت456هـ-1064م) وابن عبد البر (ت463هـ-1070م)⁷.

¹ - من كتب ابن مجاهد التي دخلت بلاد المغرب حاملة الفكر الأشعري وساهمت في نشره "رسالة فيما التمسه فقهاء أهل الثغر من شرح أصول مذاهب المتعبدین للكتاب والسنة"، وكذا كتاب "الرسالة في عقود أهل السنة".

² - إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب، ط1، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، 2006، ص ص 14-15.

³ - التأويل: في اللغة هو المآل والمصير وقيل التفسير، وعند المتكلمين هو نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل، وقال السبكي هو حمل الظاهر على على المحتمل المرجوح فإن حمل للدليل فصحيح أو لما يظن دليلا ففاسد أو لا شيء فلعب لا تأويل. أنظر إبراهيم التهامي، الأشعرية، مرجع سابق، ص 5.

⁴ - علي بن الحسن بن عساكر، تبين كذب المفتري فيما ينسب لأبي الحسن الأشعري، ط2، دار الفكر، دمشق، 1399هـ، ص 271. وأيضاً: زابر أبو الدهاج، العقيدة والدولة في المغرب الوسيط، فلسفة السلطة وحركة التاريخ، رسالة دكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران، 2013، ص 198.

⁵ - القاضي عياض، ترتيب المدارك، مصدر سابق، ج2، ص 587.

⁶ - إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب، مرجع سابق، ص ص 13-15.

⁷ - علي بن الحسن بن عساكر، مصدر سابق، ص 63. وأيضاً: - زابر أبو الدهاج، مرجع سابق، ص 194.

والحاصل أن الأفكار الأشعرية قد عرفت طريقها لبلاد الغرب الإسلامي وتنامت لتكتسب خصوصية محلية من خلال نقاشات ومواقف العلماء بداية من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (350هـ)، وكان فقهاء المالكية قد قبلوها في البداية باعتبارها مواقف إيمانية ينبغي التسليم¹ بها دون خلفية كلامية جدالية.

تجدر الإشارة كذلك إلى أن آراء و مواقف الإمام الأشعري لم تصل متكاملة في البداية، بقدر ما عملت معطيات محلية على إثارتها وترسيخها، منها سياسة المرابطين الدينية والتي ستشكل أساس مؤاخذات المهدي ابن تومرت على العقيدة المرابطية، وهي أيضا العوامل نفسها التي ستنتقل الأفكار الأشعرية من بطون الكتب و الدعوة من على المنابر إلى التأسيس لدولة ترعاها وتدافع عنها.

4. مؤاخذات ابن تومرت على المرابطين:

سعت دولة المرابطين لتحقيق جملة أهداف أهمها نشر الإسلام في بعض مناطق إفريقيا، وتحرير البربر من سيطرة المنحرفين وتصحيح عقيدتهم، ثم كان انتصارها الساحق في الأندلس في موقعة الزلاقة سنة 476هـ (1083م) على يد يوسف ابن تاشفين². وفي الجانب العقدي نجحت في القضاء على مظاهر التشيع والفكر الخارجي والباطني قضاء استخلص مجتمع بلاد المغرب "المذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه له عن الظاهر... واستمر الحال على ذلك مدة، إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة فرحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب أبي الحسن الأشعري و متأخري أصحابه"³.

وبعيدا عن الخوض في تفاصيل شخصية ومشروع ابن تومرت، فإن هذا الأخير وبفضل إقامته في المشرق وتنقله بين حواضره (خلال الفترة من 1107م إلى 1117م) واحتكاكه ببعض علمائه فقد اكتسب ذهنية نقدية، مما جعله متحررا من الالتزام المذهبي الكامل الذي يتقيد فيه أتباع المذهب بكل قواعده وأصوله وأحكامه، فعندما نتمتع في آراء ابن تومرت في مختلف المسائل يتبين لنا أن هذه الآراء لا تقوم على وحدة مذهبية وإنما هي آخذة من مختلف المذاهب مستفيدة من شتى الافهام العقدية والأصولية التي توصل إليها الفكر الإسلامي إلى أوائل القرن السادس الهجري⁴. فبعد عودته من المشرق متأثرا بآراء وأفكار الأشاعرة⁵ مستحسنا طريقتهم في الانتصار للعقائد الدينية بالحجج العقلية وفي تأويل المتشابهات شعر أنه برحلته هذه قد استكمل مرحلة طلب العلم⁶ وأن عليه الاستعداد لمرحلة الأداء بعد مرحلة الطلب.

¹ - تجدر الإشارة إلى أن فقهاء بلاد المغرب لم يسلموا في البداية بجميع آراء الأشاعرة في مسائل العقيدة، خاصة وأن بعضها يخالف مواقف الإمام مالك. من ذلك مثلا قضية خلق القرآن التي يقول فيها أبو الحسن الأشعري ".... ثم يقال لهم النبي صل الله عليه وسلم لم يصح عنه حديث في أن القرآن غير مخلوق أو هو مخلوق، فلم قلتم أنه غير مخلوق ؟ فإن قالوا قل بعض الصحابة وبعض التابعين، قيل لهم يلزم الصحابي والتابعي مثل ما يلزمكم من أن يكون مبتدعا ضالا إذا قال ما لم يقله الرسول" وبهذا يصبح الإمام مالك وغيره من المالكية مبتدعين وهذا ما لن يهضمه فقهاء المالكية . للمزيد أنظر: عبد الرحمان بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، 1998، ص 518 وما بعدها. نقلا عن رسالة أبي الحسن الأشعري الموسومة "رسالة استحسان الخوض في علم الكلام"

² - أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، 214.

³ - السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج 1، ص 63.

⁴ - مصطفى مغراوي، التطور العقدي في المغرب الإسلامي، مجلة عصور الجديدة، عدد 2012/7، 8-2013، جامعة وهران، ص 138.

⁵ - يقول ابن خلدون (ت 808هـ-1405م) في شأن عقيدة المهدي ابن تومرت وآرائه أنه قلد فيها وتابع من يقول "بتأويل المتشابه من الآي والحديث، بعد أن كان كان أهل المغرب بمعزل عن إبتاعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه، اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإمرار المتشابهات كما جاءت، فطعن على أهل المغرب في ذلك، وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذاهب الشعيرة في كافة العقائد وأعلن إمامتهم ووجوب تقليدهم" كما يصفه بأنه عاد من الشرق بحرا متدفقا من العلم وشهابا وإربا من الدين . للمزيد أنظر: عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص 297-300.

⁶ - أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص 221.

من جهة أخرى فإن رحلة المشرق قد رسخت عند ابن تومرت قناعات إزاء السلطة الزمنية في بلاد الغرب الإسلامي ممثلة في المرابطين الذين بات يرى أنهم انحرفوا بالدين والعقيدة الصحيحة نحو التجسيم¹ والضلال، وأنه لابد من إحداث تغيير وإصلاحا للكثير من المساوئ التي نغمها على المرابطين ومنها: - إغفالهم القرآن والحديث، مقابل الاشتغال بالفروع عن أصول الدين الذي تستنبط الأحكام بمقتضاه مما أدى لشيوع التقليد دون إجتهد.

- نبذهم أصول الدين والخوض في علم الكلام وتبجيحه، والابتعاد عن الرؤى والتأويل، مع الالتزام بحرفية النص أو التفسير الظاهري للآيات، وكانت هذه أشد مأخذ ابن تومرت عليهم، حتى رماهم بالتجسيم والكفر فأحل دمائهم.

- تعقيدهم صغائر الأمور بسبب إغفال الاشتغال بالقرآن والحديث وهجر الأصول، وحصر علوم الدين في فروع الفقه حتى تظل الحاجة للفقهاء وفتاويهم قائمة. ولعل عجزهم عن مناظرة² ابن تومرت وتفوقه عليهم وإفحامهم أكبر دليل على مدى إهمال علماء المرابطين للعلوم الأصولية النظرية الاستدلالية. ففي عهد المرابطين سادت ثقافة إنكار المناظرة والحوار، وإن كانت الأندلس تختلف في هذا الأمر بعض الشيء عن بلاد المغرب وذلك بسبب الحضور النشط الذي كان لأهل الأديان من مسيحيين ويهود³، وهو ما ساهم في إطلاق حوارات و مناقشات تناولت المذهب الجديد كان علماء الأندلس على غرار ابن حزم وابن رشد وابن الطفيل وغيرهم أهم مؤطريها⁴.

نجح ابن تومرت وأتباعه في الانتقال بحركته وبالأفكار الأشعرية من مرحلة الدعوة إلى الدولة، إذ قامت دولة الموحدين (1121-1269م) على قواعد عقديّة أساسا، ولعل تسميتها بالموحدين تحمل دلالة قوية وتؤكد الصبغة الدينية، إذ لم تنسب إلى ابن تومرت وإنما ركزت على البعد العقدي الذي أراده صاحبها مرجعها الأساس من خلال تصحيح حقيقة التوحيد وما يقتضيه من سائر الحقائق الأخرى، وليس طلب الحكم فيها إلا وسيلة لاقامة العقيدة الصحيحة ونشرها بين الناس، من حيث أن القيمتين على الحكم من المرابطين كانوا على رأيه على انحراف عقدي. وهو ما يفسر استمرار الآراء العقديّة لابن تومرت من بعده وتأثيرها في العقلية المغاربية بدرجات متفاوتة⁵. وبطبيعة الحال فإن نجاح الموحدين الدعوي والسياسي حمل الكافة على اعتناق مذهبهم واتباع آرائهم، وقبل ذلك كان لانتقال الفكر العقدي الأشعري دورا في فتح الأبواب على مصارعها للعلماء والفلاسفة مصنفين و مناظرين ومناقشين للفكر الجديد الذي أحدث ثورة علمية

¹ - عقيدة التجسيم: إصطلاحاً إسناده الصفات البشرية إلى الله، وما يرتبط بذلك من التآلف والتركيب، فأقل الأجسام جسمان كما يحتل معنى التجزؤ والتشخيص، والله تعالى ليس بجسم ولا جوهر لا كثيف ولا لطيف، ليس لذاته جرم ولا كثافة ولا تشخيص ولا تشكيل ليس كمثل شيء وهو السميع البصير. وقد اختلفت الفرق الإسلامية حول هذه المسألة التي باتت أحد المباحث العقديّة المميّزة بين أهل السنة والسلف وباقي الفرق الكلامية، والجدير بالتنويه أن تمسك المرابطين بإثبات الصفات الإلهية من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل، جعل البعض ومنهم ابن تومرت يرميهم بالتجسيم. للمزيد راجع عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي، التجسيم والمجسمة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 2010، ص ص 23-30. وأيضا: الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1987، ص 113 و ما بعدها.

² - للمزيد حول مناظرة ابن تومرت لعلماء المرابطين راجع: عبد المجيد النجار، مرجع سابق ص 98 وما بعدها. وأيضا: أحمد محمود صبحي، مرجع سابق، ص ص 217-218.

³ - عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 51.

⁴ - للمزيد حول موضوع دور الأندلس في تطوير الفكر العربي وحركة الترجمة والثقافة بين الحضارات والأديان أنظر: دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 193 وما بعدها.

⁵ - الفرد بل، مرجع سابق، ص 248 وما بعدها. وأيضا: عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، بيروت، د.س.ن، ص 33 وما بعدها.

وسياسية ودينية¹، واستطاع أن يترسخ جنباً إلى جنب مع المذهب المالكي في الفقه، رغم بعض مظاهر التعارض والاختلاف بين مؤسسي كلا المذهبين، وقد انبرى عديد العلماء في الأندلس وبلاد المغرب مهاجمين أو منافحين عن الآراء الأشعرية منهم علي ابن حزم و أبو بكر بن عربي و ابن رشد وغيرهم، سنحاول فيما يلي التعرف على وجهات نظرهم وأدلتها.

5. مواقف بعض علماء الغرب الإسلامي من العقيدة الأشعرية:

تقدم معنا الإشارة إلى أن الأفكار الأشعرية عرفت طريقها لبلاد المغرب قبل ظهور ابن تومرت، إلا أن هذا الأخير يرجع له الفضل في نشر وترسيم هذه الأفكار على نطاق عام، بعد أن نجح في دمج المرابطين بتهمة التحسيم. الأمر الذي أحدث انقساماً وشرخاً في التصور العقدي، أصبح من المستحيل معه وجود منطقة وسط أو كلام معتدل، وقد كان المتكلمون من المالكية قبل ابن تومرت يتخذون موقف التسامح النسبي في مواجهة الفلاسفة الذين يعارضون الأشاعرة.

في هذا الإطار يجدر التنويه إلى أن الكثير من العلماء المالكية ومنهم المبرزين في العصر المرابطي (1056-1147م) كأبي بكر بن العربي² الذي تعلق بالمذهب الأشعري باعتباره العقيدة الوحيدة السليمة، لدرجة أنه كتب في كتابه المشهور "العواصم من القواصم" موجهاً تلاميذه "... الذي أراه لكم على الإطلاق أن تقتصروا على كتب علمائنا الأشعرية، وعلى عبارات الإسلامية والأدلة القرآنية..."³. وقبله كان أبو الوليد الباجي من أشد المدافعين عن اللبنة الأساسية المكونة للبنية المعرفية المغاربية ممثلة في المذهبين المالكي ثم الأشعري مما جعله محل هجوم من طرف علي بن حزم⁴ في كتابه "الفصل"⁵. أضف إلى ذلك أنه وقبل منتصف القرن الخامس الهجري وهو التاريخ المرجح لدخول المذهب الأشعري إلى الأندلس عن طريق أبو الوليد الباجي، يذكر الباحثون أن عدداً من الفقهاء كانوا يتعاطون الجدل في مسائل الكلام مما جلب عليهم المضايقات، حيث وصفهم القاضي عياض في "المدارك" بأصحاب الجدل في العقائد في مقابل الفقهاء والمحدثين⁶.

1.5. علي ابن حزم الظاهري: تميز بشخصيته الأصلية المتحمسة المدعمة بمقدرة كبيرة على الجدل والعناد بحيث لا يرحم خصمه، فرغم تبنيه للمذهب الأشعري في بعض القضايا الكلامية التي بقي فيها متابعاً لمذهب أهل السنة والحديث، ورغم أنه لم يعاين أو يعايش قيام دولة الموحدين الأشعرية، إلا أنه كان يرفض الآراء الأشعرية في عديد القضايا التي ظل فيها مشدوداً للمعتزلة ومذهب المتكلمين⁷، فقد شهدت الأندلس في عهده نقاشاً حاداً حول مسألة كرامات الصوفية، مع العلم أن ابن تومرت سعى لتبني المذهب

¹ - للمزيد حول الحركة والثورة الدينية والعلمية التي أحدثها الفكر الأشعري وحاملته الدولة الموحدية أنظر: عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1986.

² - أبو بكر بن العربي: القاضي أبو بكر بن العربي المعافري (ت 543هـ - 1148م) تتلمذ على كبار أشاعرة المشرق كأبي حامد الغزالي، كانت له جهود كبيرة في إنضاج الفكر الأشعري علمياً، فضلاً عن مساعيه لربط الأشعرية بكل من المذهب المالكي فقهاً والتصوف السني على طريقة الإمام الجنيد.

³ - أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق عمار الطالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1974، ص 256.

⁴ - علي بن حزم الظاهري الأندلسي: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ولد بقرطبة سنة في بيت جاه وسلطان وعلم فطلب اصناف العلوم وبرع فيها وتميز بمقدرة كبيرة على الاستدلال والمناظرة والاعتداد بموقفه العلمي فطور ونشر المذهب الظاهري، له العديد من التصنيفات من أشهرها الفصل في الملل والأهواء والنحل، طوق الحماة، المحلى وغيرها. أنظر عبد الرحمان بن محمد سعيد دمشقية، موقف ابن حزم من المذهب الأشعري، ط1، دار الصميعي، الرياض، 1997، ص ص 27-30.

⁵ - عبد المجيد تركي، مرجع سابق، ص 58.

⁶ - نفسه

⁷ - سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص 47. وأيضاً: علي ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج5، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، د.س، ص 31 وما بعدها

الظاهري في الفقه¹، فقد تصدى الامام ابن حزم للأشاعرة من خلال مناظراته مع أحد كبار أئمتها أبو الوليد الباجي، ومن خلال كتبه خاصة كتابه "النصائح المنجية والفضائح المخزية"² الذي يرى القاضي عياض أن ما حواه بخصوص الأشاعرة مجرد كذب وتشنيع رغم تأكيد الصدارة التي كانت للفقيه الظاهري قبل عودة الباجي من المشرق، إذ لم يكن فقهاء الأندلس في عصره يزعموا مناقشته لقلة اهتمامهم بالنظر العقلي³.

ومن كتب ابن حزم كذلك التي أنكر فيها آراء الأشاعرة "اليقين في النقض على الملحددين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين" وفيه يقول ابن حزم "...وتقصينا الرد في هذه المقالة الملعونة (أي مقالة الأشعرية) في كتاب لنا وسمه كتاب اليقين تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من أهل القيروان اسمه عطاف بن دوناس في كتاب ألفه في نصر هذه المقالة"⁴.

غير أن أكثر الباحثين يرى أن ابن حزم جانب الإنصاف والموضوعية في دعواه ضد الأشعرية، وأنه نسب لهم ما لم يدعوه. من ذلك قوله "والأشعري يقول إن الإيمان عقد بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقية". وقد رد عليه الإمام السبكي "...والذي تحققته بعد البحث أنه (أي ابن حزم) لا يعرفه (أي لا يعرف أبو الحسن الأشعري) ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقده، وإنما بلغه أقوال نقلها الكذابون عليه فصدقها لمجرد سماعه إياها"⁵.

هذا وخالف ابن حزم بظاهريته الأشعرية في الكثير من القضايا التي رفض رأيهم فيها، منها مسألة التوحيد التي يرى ابن حزم أنه من أهم القضايا التي جانب فيها الأشعرية الصواب، فالتوحيد عند أهل السنة والجماعة معروف بأقسامه الثلاثة وهي أن الله واحد في ذاته لا قسم له، وأنه واحد في صفاته لا تشبيه له، وأنه واحد في أفعاله لا شريك له وهو أول واجب على المكلف. أما عند الأشاعرة فيحسب ابن حزم التوحيد عندهم هو "نفي التشبيه أو التعدد ونفي التبعض والتركيب والتجزئة، أي نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة، ومن هذا المعنى فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الإختراع، وانكروا بعض الصفات كالوجه واليد والعين لأنها تدل على التركيب..... أما التوحيد الحقيقي وما يقابله من الشرك ومعرفته والتحذير منه فلا ذكر له في كتب عقيدتهم إطلاقاً". أما في مسألة الإيمان فيرى ابن حزم أن الأشاعرة مرجئة جهمية⁶ وأن مجموعهم على أن الإيمان مجرد تصديق قلبي، واختلفوا في النطق بالشهادتين

¹ - عن سعي ابن تومرت لتبني وإحياء المذهب الظاهري وإحيائه يشير الكثير من الباحثين إلى تأثر ابن تومرت بالأفكار الظاهرية كما نضجت عند ابن حزم سواء في آرائه العقدية أو الأصولية، ثم محاولة أتباعه فرض المذهب في جانبه الفقهي على حساب المذهب المالكي، وإن نفى باحثين آخرين هذا المعطى. عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 360

² - العنوان الكامل للكتاب "النصائح المنجية والفضائح المخزية في شنع الشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة" ألفه ابن حزم مستقلاً ثم أدمجه في كتابه الشهير "الفصل" ويوجد في شكل مخطوط مستقل.

³ - القاضي عياض، المدارك، مصدر سابق، ج4، ص 805.

⁴ - علي ابن حزم الظاهري الاندلسي، مصدر سابق، ج4، ص ص 206-607.

⁵ - علي ابن حزم، مصدر سابق، ج2، ص ص 265-266. وأيضا: إبراهيم التهامي، مرجع سابق، ص 40.

⁶ - المرجئة والجهمية: لغة المرجئة من الإرجاء أي التأخير والإمهال، أما اصطلاحاً فهم أحد الفرق الإسلامية الكلامية التي ظهرت أواخر القرن الأول الهجري وكانت تقول بتأخير الإيمان عن العمل أي أن الإيمان قول بلا عمل وأن الشرائع ليست من الإيمان بل الإيمان مجرد التصديق. مؤدى هذا الفصل بين الإيمان والعمل الرضى القاطع للحكم على العقائد والضمائر من قبل البشر، ومادام العمل لا يعكس بالضرورة حقيقة المعتقد فلا سبيل للحكم على المعتقدات وإنما علينا أن نرجئ ذلك ليوم الحساب. وقد تفرق المرجئة إلى عدة فرق منها الجهمية وهم أباع الجهم بن صفوان (ت) وخلاصة مذهبهم أن الإيمان هو معرفة الله ورسوله وما جاء به من عنده وماعدا ذلك ليس من الإيمان والكفر هو الجهل بالله ورسوله وما جاء من عنده. أنظر محمد عمارة، مرجع سابق، ص 35.

أيكفي عنه تصديق القلب أم لا بد منه ¹.

وبطبيعة الحال فإن آراء ابن حزم الحادة ومواقفه التي كادت أن تقلب بلاد المغرب إلى المذهب الظاهري²، ما كانت لتمر مرور الكرام دون أن ينبري لها من العلماء من يردّها ويناقشها، وقد كان في مقدمتهم أبو الوليد الباجي³ الذي تقدمت الإشارة إلى مناظراته لابن حزم والتي كانت سببا في إخراج هذا الأخير من بلده بل وإحراق كتبه بعد إفحامه. يقول ابن الآبار (ت 658هـ- 1260م) "...ولما دخل أبو محمد بن حزم جزيرة ميورقة بعد الثلاثين وأربعمئة ونشر فيها علمه، دارت فيها بينه وبين أبي الوليد مناظرة زل فيها، وعظم ابن حزم عليه القول، وكان ذلك في مجلس أبي العباس أحمد بن رشيق ومحضره... " ثم يقول "...وتضافرا جميعا عليه، وناظره فأفحامه وأخرجاه منها. وكان سبب العداوة بين الباجي وابن حزم..."⁴.

2.5. أبو الوليد الباجي: كان الباجي يمتلك عقلا نافذا شديدا قلق دائم البحث عن الحقيقة الموضوعية الألفية أساسا، المنفصلة عن أية ذاتية إنسانية وهو علامة قدير عايش جميع المذاهب عن قرب، وتعلق بمذهب أهل السنة. له قدرة على الجدل في مسائل الفقه والكلام، كما لعب دورا كبيرا في التمهيد للجهاد المرابطي⁵. مدحه خصمه ابن حزم قائلا "لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبد الوهاب مثل أبي الوليد"⁶.

ورغم أنه لم يعيش ليشهد قيام دولة الموحدين التي ستبني أفكاره، يجمع الباحثون على أهمية الدور العلمي الذي أداه الباجي في بلاد الغرب الإسلامي من خلال نقل طريقة الأشاعرة في الجدل والإرشاد و تبسيط مسائل العقيدة والإيمان بعيدا عن الحشو أو التعقيد، يقول القاضي عياض في ترجمته "... ودخل الموصل فأقام بها عاما يدرس على السمناني تلميذ الباقلاني في الأصول"، كما ألفت لهذا الغرض العديد من الكتب أهمها كتاب "المنهاج في ترتيب الحجاج" وهو كتاب في فن المناظرة الذي اكتسبه عبر رحلاته. و بعد رجوعه للأندلس سيطر الباجي على الحياة الفكرية فيها رغم أنه عاصر ملوك الطوائف الذين ورغم تراجعهم السياسي والاجتماعي

¹ - للمزيد حول موضوع مأخذ ابن حزم على الأشعرية أنظر: أحمد بن سالم المصري، التعليقات المفيدة على رسالة منهج الأشاعرة في العقيدة، دار التأصيل، ط3، جمهورية مصر العربية، 2008، ص 90 وما بعدها.

² - المذهب الظاهري: مذهب فقهي نشأ في العراق منتصف القرن الثالث الهجري على يد داوود بن علي الأصبهاني (ت 883م) ثم انتشر بفضل ابن حزم الأندلسي، و الظاهرية هم أتباع المذهب الذي تقوم أصوله على رفض العمل بالقياس وإعمال ظواهر نصوص القرآن والسنة والإجماع. إنتشر الظاهرية في العراق ومصر وعمان وكان مذهباً لدولة الموحدين. مبارك بشير، المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي عوامل الدخول والإنتشار، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 9 عدد 1 جوان 2018، دورية محكمة تصدرها جامعة معسكر، ص 353-355.

³ - أبو الوليد الباجي: هو سليمان بن خلف بن سعدون أصله من بطليوس، ثم انتقل مع عائلته إلى باجة بالأندلس ومنها اكتسب كنيته، ولد في قرطبة سنة 403هـ لأسرة علمية فقد كان أبوه من فقهاء الأندلس التي طوف بها الباجي طلبا للعلم ومنها إلى المشرق حيث دامت رحلاته ثلاثة عشر سنة تعلم فيها على يد عدد كبير من الشيوخ منهم أبا ذر الهروي والإسفرائيني وأبو اسحاق الشيرازي و أبو جعفر السمناني وغيرهم، وقد تولى القضاء وكان له مجلس علم كبير بفضل شهرته في المناظرة والجدل دفاعا عن مذهبي الأشعري في الأصول ومالك في الفروع، له العديد من المصنفات منها " الاستيفاء في شرح الموطأ"، "تبيين المنهاج والتسديد إلى معرفة طريق التوحيد". توفي بالميرية سنة 474هـ الموافق 1081م. للمزيد حول هاته الشخصية العلمية راجع: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، إشراف حسان عبد المنان، ط1، ج1، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004، ص 1185 وما بعدها.

⁴ - محمد بن عبد الله ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ص 316. وأيضا عبد المجيد تركي، مرجع سابق، ص 56 وما بعدها.

⁵ - عبد المجيد التركي، مرجع سابق، ص 59.

⁶ - القاضي عياض، المدارك، مصدر سابق، ج4، ص 803. عن القاضي عبد الوهاب فهو فقيه عراقي كبير ولد سنة 362هـ/973م عاش في العراق ثم رحل إلى القاهرة التي توفي فيها دون تحديد سنة وفاته. للمزيد أنظر عبد المجيد تركي، ص 66.

وانخذاهم أمام النصارى، إلا أنهم ظلوا أوفياء للعلم والكتاب، وكان معظمهم من أكابر الأدباء والشعراء والعلماء، فحفل عصرهم بجمهرة من العلماء الموسوعيين الكبار كالباجي وابن عبد البر وابن حزم¹.

وقد كان الإمام الباجي ملما بالمذهب المالكي والشافعي والحنفي، ولم يكن متعصبا لمذهبه فجمع بين أصول مدرسة المتكلمين والفقهاء، فحجده في كتابه "إحكام الفصول في أحكام الأصول" يعدد المسائل التي انتقد فيها ابن حزم كادعائه تقديم القياس الفلسفي على الأصولي، وفي كون الأمر يحمل على الفور وفي مسألة قول الصحابي إذا قال أمرنا رسول الله صل الله عليه وسلم يحمل على الوجوب، بل يعتبر خطابا للرسول صل الله عليه وسلم، وكذا في مسألة القياس والمرسل². هذا وتجدر الإشارة إلى أن تحفظات الباجي سواء على ابن حزم أو غيره إنما كان مبعثها رد كل منهج يخالف أهل السنة والجماعة بالأساس، لأن الأفكار الاشعرية كانت حتى تلك الفترة أي قبل تبنيتها رسميا من طرف الموحدين محصورة بين العلماء وأهل الرأي، وهو ما نستشفه من أحد السؤالات التي وجهت لابن رشد (ت520هـ) بخصوص رأيه في أئمة الاشعرية أمثال أبي الوليد الباجي وأبي المعالي الجويني ونظرائهما وحكم من يسبهما أو ينتقص منهما، وكان جواب ابن رشد انتصارا لاجتهادات وأراء هؤلاء العلماء كما نسقف عليه.

3.5. أبو بكر ابن العربي³: يعود الفضل لابن العربي في إيضاح الفكر الأشعري وربطه بكل من المذهب المالكي والتصوف. يذكر عبد المجيد النجار أن ابن العربي ارتحل إلى المشرق ودرس العقيدة الاشعرية على يد أبي حامد الغزالي (ت505هـ) وتشبع بمنهجية هذه العقيدة وبخصيلة آرائها الكلامية، وبعد رجوعه إلى الأندلس ألف في بسطها وتفصيلها وإقناع الناس بها كتابا كثيرة من أهمها "العواصم من القواصم"، إلى جانب ما جلب وروج من كتب الباقلاني والجويني وإمام الحرمين، وقد ظهرت في كتب ابن العربي روح الابتكار والتطوير في الأشعرية فلم يكن متلقيا فحسب بل منتجا مسهما في الإثراء⁴.

كما رد ابن العربي على ابن حزم معنفا إياه على موقفه من المسائل العقدية والأقوال الاشعرية "وكان أول بدعة في رحلتي القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب بسخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب إلى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأئمة يضع ويرفع ويحكم لنفسه ويشرع وينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول على العلماء ما لم يقولوا تنفيرا للقلوب عنهم وتشنيعا عليهم" ثم قال مادحا أبي الحسن الأشعري "ولم يتحرك لحماية الدين إلا آحاد اختارهم الله له، ونصبهم للذب عنه، فأولهم أبو الحسن الأشعري... فحفظ الله دينه على من أراد هدايته، فلم يبق وجه من البيان إلا أوضحوه، ولا سبيل من الأدلة إلا نهجوها، وانتدب أبو الحسن إلى كتاب الله فشرحه"⁵.

¹ - أبو لبابة حسين، الباجي وكتابه التعديل والترجيح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، ط1، المجلد الأول، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، 1986، ص 27 وما بعدها.

² - يونس العدلاني، طبقات الأصوليين بعدوي المغرب والإندلس، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2009، ص 224.

³ - هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الإشبيلي المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي، ولد سنة 468هـ (1075م) بإشبيلية، في عصر ملوك الطوائف حيث كانت عائلته تحظى بمكانة لدى المعتمد ابن عباد والأسرة العبادية، تلقى تعليمه الأول على يد أسرته فقد كان أبوه فقيها، فضلا عن شيوخ إشبيلية ليشد الرجال بعدها إلى المشرق أين لقي أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وأبي الحسين المبارك وغيرهما ثمعاد لبلده بعلم كثير، وولي القضاء بإشبيلية، كما صنف في عديد العلوم وترك عدة مؤلفات، توفي بمغيلة قرب فاس بالمغرب، ودفن بفاس سنة 543هـ/ 1148م. للمزيد أنظر: عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 102-103. وأبضا: عمار الطالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 27 وما بعدها.

⁴ - عبد المجيد النجار، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 33-34.

⁵ - أبي بكر بن العربي، مصدر سابق، ص 70-71 وص 338.

غير أن دفاع القاضي ابن العربي عن الأشعرية لم يمنعه من إنتقادهم في المسائل التي لم تسلم من بعض الاعتزال، كانتقاده لإمام الحرمين الجويني(ت 478هـ/1085م) إنكاره في كتابه "البرهان في أصول الفقه" علم الله بالجزئيات غير المتناهية، وهو قول مخالف للنصوص القرآنية والحديثية، ومخالف لما عليه أهل السنة والجماعة بأن الله علم محيط بكل ما جل ودق. وقد كتب ابن العربي في القواصم في هذا الشأن "... وإنما العجب كل العجب عن كلمات صدرت عن أبي المعالي فادحة تحوم أو تشف على أن علم الباري لا يتعلق بالمعلومات على التفصيل"¹، إلا أن مخالفة ومؤاخذه ابن العربي للجويني في هذه المسألة لم تمنعه من إتباع ونشر طريقته في الوعظ والإرشاد، خاصة وأنه تتلمذ على يد أكبر وأعظم تلامذة الجويني أبي حامد الغزالي(ت505هـ-1111م) وتأثر به وبشيخه إيماناً تأثر².

هذا وقد تصدى ابن العربي من خلال مصنفاته لعدد المسائل التي لمس فيها شبهة الاعتزال، خاصة مسألة التأويل والحجاز ووصفهم بالمشبهة والجهلة، إلا أن هناك من يرى أن ابن العربي في حملته على المشبهة والمجسمة خلط بين من يشبهون صفات الخالق بالمخلوق القائلين كما ينقل هو عنهم "ألزمني ما شئت فإني التزمه إلا اللحية والعورة" وبين السلف الذين يثبتون هذه الصفات مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين ويثبتونها كما وردت في القرآن والسنة دون الخوض في كیفيتها.³

والواقع أن جميع ما تركه ابن عربي مما وصلنا يتحرك داخل مناخ الفكر الأشعري ويتكلم باسمه، وقد عمل أربعين سنة في التدريس وتكريس العقيدة الاشعرية والفقه المالكي فتطور المذهب الاشعري على يديه تطوراً ملحوظاً مرسخاً بذلك لمذهب وسط بين غلاة المتأولين وغلاة أهل النص، أي بين غلاة الباطنية وغلاة الظاهرية، موضحاً منهج القرآن في الاستدلال، ناصحاً بالاقتصار عليه، إلا أن يجد الإنسان من نفسه القوة(أي الأهلية العلمية) لأن يخوض غمار المعارف ومنهج الأدلة الفلسفية، محذراً من أن منهج الفلاسفة وإن كان سبيلاً للعلم، إلا أن فيه مغامرة ومخاطرة، وليس كل إنسان يحتمله ويستقل به، ومن هنا فهو لم يعط للعقل سلطة مطلقة، إذ أنه وقف إزائه موقفاً نقدياً. فحدد مجاله وجعل من ورائه طوراً يقصر عن إدراكه.⁴

4.5. أبي الوليد ابن رشد⁵: وبالانتقال لابن رشد سواء الجد أو الحفيد، ننتقل مع الفكري الأشعري من الحاضنة العلمية الصرفة إلى مؤسسات الدولة الرسمية، فمع اتساع دائرة النقاش والتأليف حول قضايا الأصول والعقيدة بعيداً عن الفروع الفقهية كما اعتاده فقهاء المرابطين، تحول الفكر الأشعري إلى نوع من السلطة العلمية المهددة لسلطة الفقهاء، الذين أخفقوا في مواجهة تعاظم زخم وسرعة

¹ - نفس المصدر، ص 134.

² - رغم أن ابن العربي تتلمذ على يد أبي حامد الغزالي إلا أن هذا لم يمنعه من مخالفته في بعض المسائل ذكرها في كتابه القواصم، منها ماهية الروح والبدن والعقل والقلب والعلاقة بين هذه المفاهيم. للمزيد حول علاقة ابن العربي بشيخه حجة الإسلام الغزالي أنظر: أبي بكر بن العربي، مصدر سابق، ص 24 وما بعدها.

³ - إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب، مرجع سابق، ص ص 35-36.

⁴ - عمار الطالبي، مرجع سابق، ص 159.

⁵ - أبو الوليد ابن رشد: عائلة ابن رشد عائلة علمية بامتياز، فالجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي المشهور بابن رشد الجد (1058-1126م) كان قاضي قضاة قرطبة ومفتي المرابطين وله فتاوى معتبرة في المذهب المالكي وهو شيخ القاضي عياض، أما أشهر مؤلفاته "المقدمات"، "البيان والتحصيل"، "المسائل" وقد توفي في نفس السنة التي ولد فيها حفيده الفيلسوف المعروف بـ "AVERRES"، والذي تحصل على جميع العلوم المنتشرة في عصره وتولى القضاء في خدمة الموحدين ثم انقطع للفلسفة إلى أن برع فيها، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. من أشهر مؤلفاته "تهافت التهافت"، "بداية المجتهد"، "فصل المقال". توفي بمراكش سنة 1198م. أبو عمران الشيخ، ابن رشد حياته وآثاره، مجلة دراسات فلسفية، العدد 5، السنة 3، السداسي الأول 1998، دورية محكمة يصدرها معهد الفلسفة جامعة الجزائر، ص ص 17-20.

انتشار الآراء الأشعرية في الأوساط العلمية واهتمام العلماء بها لدرجة أنهم أصبحوا لا يرون مخالفة أبي الحسن في نقيض ولا قطمير¹. فكان من ردت فعل الفقهاء أن لجئوا إلى تأليب الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (476هـ-1083م/537هـ-1143م) ضد كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي أحد أئمة الأشعرية، بعد أن رأوا فيه دعوة مباشرة للحد من نفوذهم والثورة عليهم فتحندوا ضده، فأفتوا بتكفير من قرأ كتاب الإحياء، واستصدوا من الأمير علي بن يوسف أمرا بإحراقه، فجمعت نسخه وأشعلت فيها النيران في قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس وكان ذلك سنة 503هـ/1109م. ومعلوم أن الغزالي كان يريد أن يجعل من كتابه "الإحياء" فقها للروح بعد أن غرق الفقه الرسمي في الأقضية اليومية للناس و"الرسوم" والشكليات وصار الناس يتخذون من الفروع أصولاً² وتراجع الاجتهاد. ثم إن الأمير علي بن يوسف رأى أن يلجأ لحسم الخلاف المستشري إلى قاضي الجماعة أو قاضي القضاة بقرطبة أبي الوليد ابن رشد الجد (ت 520هـ-1126م)، يستفتيه ويستفسره عن أئمة الأشعرية وفكرهم، وهو التصرف الذي يرجعه المفكر عابد الجابري إلى اطمئنان الأمير لعدم وجود أية مطامع سياسية لدى ابن رشد الذي كان أميل إلى العلم ويفضل الواجهة الاجتماعية والعلمية³، وبالتالي فليس هناك ما يدفعه لمداهنته أو عدم النصح له.

في هذا السياق فقد تضمن كتاب مسائل ابن رشد إجابة هذا الأخير عن الأسئلة التي وردت إليه تستفسره عن الأشعرية وهي وإن كان أشهرها سؤال علي بن تاشفين إلا أنه لم يكن الوحيد، فقد سئل أهل فاس نفس السؤال الذي تقاطعت إجابته مع اختلافات طفيفة. وعن إستفتاء علي بن تاشفين فقد ورد بصيغة توحى أن صاحبه يستشرف من حوله ملامح مشروع فكري بأبعاد سياسية يسعى للتموقع في بلاد المغرب على حساب السلطة الزمنية القائمة، أما ابن رشد فقد كان في إجابته علمياً موضوعياً مبيناً بخبرة العالم أفول السياسة الدينية للمرابطين لصالح علم الكلام والمنطق والفلسفة.

مما جاء في نص السؤال "ما يقول القاضي الفقيه الأجل، الأوحد، أبو الوليد.... في الشيخ أبي الحسن الأشعري، وأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي بكر الباقلاني، وأبي الوليد الباجي... ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام، ويتكلم في أصول الديانات ويصف الرد على أهل الأهواء، أهم أئمة رشاد وهداية، أم هم قادة حيرة وعماية؟ وما تقول في قوم يسبونهم، وينتقصونهم، وسيبون كل من ينتمي إلى علم الأشعرية، ويكفرونهم ويترئون منهم... ماذا يقال لهم، ويصنع بهم، ويعتقد فيهم، أيتكون على أهوائهم، أم يكف من غلوهم.... بين لنا مقدار الأئمة المذكورين، ومحلهم من الدين، وأفصح لنا عن حال المنتقص منهم، والمنحرف عنهم"⁴. وكما كان السؤال صريحاً في طلب النصح، جاءت إجابته صريحة، فرغم أن ابن رشد لا يوافق الأشعرية في منهج الاستدلال القائم على المنطق الشكلي، ويستبدل به منهج القرآن، القائم على تأمل آثار الصنعة في الكون والإنسان لإقامة الدليل على الصانع⁵. إلا أن ذلك لم يمنعه من الدفاع عن الأئمة الأشعرية الذين وصفهم بأنهم "أئمة خير، وممن يجب بهم الإقتداء، لأنهم قاموا بنصرة الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة، وأوضحوا المشكلات، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات، فهم بمعرفتهم بأصول الديانة، العلماء على الحقيقة، لعلمهم بالله عز وجل، وما يجب له، وما يجوز عليه، وما ينتفي عنه، إذ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول..." إلى أن يقول "...فلا يعتقد أنهم على ضلالة إلا غبي جاهل، أو مبتدع زائغ عن الحق مائل، ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا

¹ - محي الدين عزوز، مرجع سابق، ص 30.

² - محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 26.

³ - نفسه، ص 28.

⁴ - مسائل أبي الوليد ابن رشد. (الجد)، تحقيق محمد الحبيب التحكائي، ط2، ج1، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 716.

⁵ - نفسه، ص 27.

فاسق.... فيجب أن يصير الجاهل منهم، ويؤدب الفاسق، ويستتاب المبتدع الزائع عن الحق، إذا كان مستهلا ببدعته، فإن تاب وإلا ضرب أبدا...¹.

إن المتأمل في إجابة القاضي أبي الوليد يستنتج أن هذا الأخير أدرك بفهم العالم وحس اللبيب، الأهمية التي باتت تشكلها المدرسة الأشعرية ومنهجها في بلورة وسطية إسلامية جديدة لاتقف عند النصوص وحدها متحركة للعقل، كما يفعل السلفية النصوصيون، ولا تقدر العقل وتهمّل الوحي والنقل، كما يفعل الفلاسفة، وإنما تعتمد العقل والنقل مع تحكيم "النقل" مخالفا المعتزلة الذين يعتمدون على العقل والنقل، مع تحكيم العقل إذا خالفت براهينه ظواهر النصوص.²

لا تذكر المصادر كيف تلقى علي بن يوسف بن تاشفين جواب ابن رشد، لكن يبدو أن الأمير لم يخرج من حيرته التي دفعته لاستفتاء القاضي، الذي رغم وضوح إجابته، إلا أنه لم يشف غليل الأمير³، فابن رشد وإن لم يتبنى كل آراء الأشعرية إلا أنه دافع عنهم وانتصر لأئمتهم واصفا إياهم بأئمة الهدى والخير الذين يجب الاقتداء بهم. هذا ولم يكن الحماس الذي أبداه ابن رشد في الدفاع عن الأشعرية بمناعه من انتقادهم في بعض المسائل التي من شأنها أن تحدث فتنة عند من لا يملك ناصية العلم والاجتهاد، خاصة طريقة الأشاعرة في النظر والاستدلال العقلي التي لم يرى فيها ابن رشد خيرا، إذ لو كانت كذلك لكان الصحابة والسلف سباقين إليها، وهو وإن لم ينكر أنها من طرق العلم الصحيحة، إلا أن رآها لا يؤمن العنت والانقطاع ولن يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها⁴. ثم يذهب ابن رشد بعيدا في هذا المنحى من خلال نهي العامة والمبتدئين والمطالبة بمنعهم من قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعرين مخافة أن تنحرف أفهامهم، وإنما يجب عليهم الإقتصار فيما يعتقدونه على الاستدلال الذي نطق به القرآن، ونبه الله عليه عباده في محكم التنزيل، إذ هو واضح بين يدرك ببديهته العقل⁵.

إن ابن رشد في هذه الحيشة يسير في نفس الإتجاه الرسمي للمرابطين، جاعلا للحاكم الحق في التدخل لمنع العامة من تعاطي الأفكار الأشعرية، وهو مضمون قوله "فمن الحق الواجب على من ولّاه الله أمر المسلمين أن ينهي العامة والمبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعرين"⁶.

وبقدر ما كان ابن رشد الجدل شديد الوضوح في مدح وتعديل أئمة الأشعرية بقدر ما كان متحفظا من طريقتهم في البرهان والاستدلال العقلي ومن علم الكلام بالجملة. وبطبيعة الحال فإن موقفا يحمل إشادة ومنع في ذات الوقت، يدفع للتساؤل عن الجانب الذي غلبه ابن رشد في فتواه، وهل كان ممثلا للسلطة الدينية الرسمية المرابطية التي استفتته، أم فقيها يتبع الأثر ويقاوم منظومة عقدية معرفية تهدد سلطة الفقهاء المرابطين؟. والحقيقة إنه من الصعوبة بمكان التمييز بين الموقفين أو الفصل بينهما، إلا أن تخوف ابن رشد من المفاسد التي يسببها خوض العامة في المسائل العقدية الخلافية ظاهر بين في فتواه⁷، مع القطع بأنه ورغم توليه مناصب رسمية بتكليف

¹ - نفسه، ص 718.

² - محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص ص 167-168.

³ - زابر أبو الدهاج، مرجع سابق، ص 194.

⁴ - مسائل أبي الوليد، مصدر سابق، ج2، ص 860.

⁵ - نفسه، ص ص 860-861.

⁶ - نفسه، ص 860.

⁷ - بالنسبة للموقف من تعاطي العامة لعلم الكلام فإن ابن رشد لم يكن الوحيد في هذه النزعة التي نزعها قبله أحد كبار الأشاعرة أبو حامد الغزالي وألف لهذا الغرض الغرض كتابا أسماه "إلجام العوام عن علم الكلام"

بتكليف من المرابطين، فإنه لم تكن له أية مطامح سياسية، إذ "كان إلى العلم أميل"، ولا أدل على ذلك من طلبه الاستعفاء من القضاء سنة 515هـ/م لينقطع إلى التأليف والتدريس¹.

وعلى كل حال فإن فقهاء المرابطين أخذوا من رأي ابن رشد ما يتوافق و موقف السلطة السياسية أي منع العامة من الخوض في علم الكلام و الذي يعني بالضرورة المنع من الخوض في أمور السياسة² وخيارات السلطة، وهو ما يفسر انحسار الفكر الأشعري في عهد المرابطين في الأوساط العلمية في ظل توجس السلطة من كل ما يمكن أن يهدد الوحدة الدينية والمذهبية وغلبة النزعة المحافظة. وبالتالي انتقل إلى ابن رشد الحفيد (1126-1198م) والذي مثل قمة الفكر في بلاد المغرب، فإن هذا الأخير وإن عاصر الموحدين إلا أنه تبني نفس موقف جده من علم الكلام سواء فيما يتعلق بحدود تداوله فضلاً عن نقد ومناقشة المرتكزات التي بنى عليها الأشاعرة مذهبهم، وعلى رأسها قياس الغائب على الشاهد، و تأويل ألفاظ الشرع عن ظاهرها، وهي التأويلات التي رأى أنها مجرد خطابات لا ترقى إلى مستوى اليقين والإقناع البرهاني الذي عمل ابن رشد على بلورته بالعودة إلى أصوله اليونانية متجاوزاً القراءات الأفلاطونية المحدثة³. ولعل هذا المسعى هو الذي جعله يعتبر طريقة الأشاعرة في الاستدلال "غير برهانية ولا مفضية بيقين إلى وجود الباري... مستدلاً على ذلك بكون الأشاعرة" رأوا أن التصديق بوجود الله تبارك وتعالى لا يكون إلا بالعقل. لكن سلكوا في ذلك طرقاً ليست هي الطرق الشرعية التي نبه الله تعالى عليها، ودعا الناس إلى الإيمان به من قبلها"، ليصل بعد مناقشة عديد المسائل العقديّة مفندا المقدمات المنطقية التي انطلق منها الأشاعرة معتبراً إياها نوع من المصادرة على المطلوب، الأمر الذي بموجبه اعتبر ابن رشد الأشاعرة ضمن الطوائف الضالة إلى جانب المعتزلة والباطنية والحشوية⁴.

والحقيقية إن نشأة ابن رشد في ظل آراء جده المتقدمة إزاء الأشعرية، وكذا تتلمذه على يد القاضي عياض (ت 544هـ) وغيره من كبار الأشاعرة تؤكد النشأة الأشعرية لأبي الوليد، أما التحول عنها أو عدم الانصياع لجميع جزئياتها رغم الاتفاق مع الأشاعرة في كثير من الآراء، فهو أمر لا يكاد يخفى في الكتابات الرشدية، على أن ابن رشد وهو في خدمة الموحدين كان صاحب اجتهاد داخل تلك الدائرة وإن سعى لمجانبة الصدام مع التوجه الفكري العام لدولة "التوحيد". وبالتالي فإن نقده للأشعرية له علاقة بطبيعة النظام السياسي الموحد القائم على ضم العقيدة إلى السياسة، واستعمال فكر أقرب ما يكون إلى الإلجاء قصد إخضاع النخبة العلمية، ولعل هذا المبدأ السياسي الديني يفيد في تفسير الكثير من الظواهر السياسية والفكرية على عهد الموحدين، بما فيها فهم بعض آراء ابن رشد ومواقفه الغامضة و تأثير المناخ السياسي والتغير الذي طال البناء المعرفي⁵ في بلاد المغرب. و مع التنويه إلى أن موضوع مواقف وآراء ابن رشد حول الأشعرية لا يزال بحاجة لبحث أعمق وأشمل، لا يمتنع هذا من الإشارة إلى ما ذهب إليه ثلة من الباحثين بخصوص ضعف الفلسفة الرشدية و بالتالي المشروع الفكري الرشدي برمته، مستدلين في ذلك بفشل ابن رشد في حل مشكلات عصره، وإن نجح في تحليلها فلسفياً وسياسياً، وهو ما عكسه بجلاء توارى "فصل المقال" أمام "فيصل التفرقة" وعدم صمود

¹ - محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 25.

² - زابر أبو الدهاج، مرجع سابق، ص 196.

³ - محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987، ص 538.

⁴ - للمزيد حول المسائل التي انتقد فيها ابن رشد الحفيد مذهب الأشعرية راجع كتابه المهم "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1997، ص 103-111.

⁵ - عزيز أبو شرع، موقف الأشاعرة من ابن رشد وكتاب الكشف في الأسباب الأشعرية لأفول الرشدية، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، عدد 25، المجلد السابع، صيف 2018، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2018، ص ص 53-56.

"تَهافت التَهافت" أمام "تَهافت الفلاسفة". وبذلك استمر فكر الغزالي وفلسفته بفضل الجمهور الذي انتصر لآرائه من خلال العقيدة الأشعرية، والنزعة العرفانية التصوفية¹.

6. خاتمة:

ختاما نلخص الأفكار المتقدم بسطها في كون الفكر الأشعري قد أدى دورا حضاريا في بلاد المغرب على غرار باقي بلاد الإسلام، وهو ما جسده مختلف المدونات والمناظرات والمقولات وصولا إلى المواقف السياسية والاصطفافات الاجتماعية التي بلغت أوجها مع تبني دولة الموحدين للعقيدة الأشعرية، أما أبرز النتائج التي خلص إليها البحث :

يحمد لعلماء السنة المغاربة دورهم الكبير في نشر السنة والوقوف بقوة في وجه المبتدعة، سالكين في سبيل ذلك كل الطرق خاصة الجدل الكلامي و محاجة الفرق و المذاهب الوافدة، 188مما ساهم في التطور العقدي الذي عرفته المنطقة، و قد أهلت المرونة التي اتسمت بها الأفكار الأشعرية و توسطها بين النقل والعقل لأن يصبح أصحاب هذا المذهب أكبر فرق المسلمين عددا وأبعدهم أثرا، وأن يكون منهم علماء ومفكرون كبار، متجاوزين الكثير من الإشكاليات الفكرية والعقدية وهي السمة التي منحت المذهب الأشعري القبول عند جمهور المسلمين.

- إن إخضاع تطور المسألة المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي لمختلف الأبعاد والمعايير السياسية والاجتماعية والفكرية يفضي إلى حقيقة مهمة مفادها أن التطور الطبيعي للأفكار إنما يحصل من خلال مختلف فضاءات النقاش في إطار الإسلام الذي يسع الجميع دون إقصاء.

- تفاعلت عوامل عدة في ظهور ورسوخ العقيدة الأشعرية ، و رغم أن الظرفية الحضارية والتاريخية التي وجد وتطور في كنفها علم الكلام في بلاد المغرب كانت مغايرة لمثيلتها في المشرق، إلا أن طرائق الاستدلال كانت الحاضنة الأساس للأفكار الأشعرية، والقيروان مركز عبورها .

- إن تاريخية التحول نحو المذهب الأشعري فرضته سياقات فكرية وسياسية متباينة بين بلاد المشرق والمغرب، لذلك لم يكن غريبا أن يساير انتقال المذهب لبلاد المغرب نقاش عقدي كبير طال أصول الدين وأصول الفقه، و عكسته عديد الأعمال الفكرية والمناظرات ، كما عملت الظروف السياسية والاجتماعية على إنضاجه وتوجيهه وفق خصوصيات محلية أهمها مواكبة التطور العقدي(الأشعرية) للتطور المذهبي(المالكية)وهو الوضع الذي لم يكتب له الاستقرار مع المرابطين، فكان أن عمل الموحدون على ترسيخه في إطار السعي لتحقيق وحدة سياسية تعزز مركزهم وتقوى دولتهم، رغم موقفهم المتلبس من المذهب المالكي من خلال تشجيع فقهاء المذهب الظاهري تقليصا لنفوذ فقهاء المالكية تحقيقا لنزعة محاربة التقليد والاحتكار المذهبي ، وهو ما سنعمل على مناقشة مظاهره ومآلاته في دراسة لاحقة.

¹ - عبد القادر بوعرفة، العرب أسئلة الماضي والحاضر والمستقبل، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016، ص 19.

7. قائمة المراجع:

- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح إحسان عباس، ط2، ج1، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983.
- أبي الفضل عياض بن موسى (القاضي عياض)، ترتيب المدارك، تحقيق، أحمد بكير محمود، ج1، ج2، ج4، دار مكتبة الحكمة، بيروت، دت.
- أبو بكر بن العربي (1974)، العواصم من القواصم، تحقيق عمار الطالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- أبو لبابة حسين (1986)، الباجي وكتابه التعديل والترجيح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، ط1، المجلد الأول، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض.
- أبو عمران الشيخ، ابن رشد حياته وآثاره، مجلة دراسات فلسفية، العدد5، السنة3، السداسي الأول 1998، دورية محكمة يصدرها معهد الفلسفة جامعة الجزائر.
- أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1998.
- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة اهل السنة والجماعة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، 2005.
- إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب، ط1، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، 2006.
- أحمد بن خالد السلاوي الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط1، ج1، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1997.
- أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تح إبراهيم طلاي، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974.
- أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار وأخطط المقرئية، تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرفاوي، ط1، ج4، مكتبة مدبولي، القاهرة، دت.
- أحمد محمود صبحي، في علم الكلام، ط5، دار النهضة العربية، ج2، بيروت، 1985.
- أحمد بن سالم المصري، التعليقات المفيدة على رسالة منهج الأشاعرة في العقيدة، دار التأصيل، ط3، جمهورية مصر العربية، 2008.
- الفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1987.
- جمال المرزوقي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.
- دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- زاير ابو الدهاج، العقيدة والدولة في المغرب الوسيط، فلسفة السلطة وحركة التاريخ، رسالة دكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران، 2013.
- ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت لبنان، 1977.
- يونس العدلاني، طبقات الأصوليين بعدوتي المغرب والإندلس، دار الأمان ، الرباط، المغرب، 2009.
- محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- محمد أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ط2، مكتبة الأقصى، عمان الأردن، دت.
- مبارك بشير، المذهب الظاهري بالغرب الإسلامي عوامل الدخول والإنتشار، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد9 عدد1 جوان 2018، جامعة معسكر.
- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1997.
- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987.
- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدثاته وتحليلاته، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990.

- محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.
- محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985.
- محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تح أمير علي مهنا و علي حسن فاعور، ط3، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1993.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام، ط2، دار النفائس، بيروت، 2007.
- محمد بن عبد الله ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الأبار، 1995.
- محي الدين عزوز، التطور المذهبي بالمغرب، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1976.
- مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الجيل، بيروت، 1993.
- مصطفى مغزاوي، التطور العقدي في المغرب الإسلامي، مجلة عصور الجديدة، عدد 2012/7-8، 2013، جامعة وهران
- سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والاندلس، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، دت.
- سليمان الشواشي، واصل بن عطاء وآراؤه الكلامية، الدار العربية للكتاب، دون دار نشر، 1993
- عباس نصر الله سعدون، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 788-853، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1978
- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه، ط1، دون دار نشر، 1993.
- عبد المجيد النجار، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- عبد الله العروي، تاريخ المغرب محاولة في التركيب، ترجمة وتحقيق ذوقان قرقوط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977.
- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، مطبعة الإستقامة، القاهرة، 1989.
- عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.
- عبد الرحمان بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، 1998.
- عبد الرحمان بن محمد سعيد دمشقية، موقف ابن حزم من المذهب الأشعري، ط1، دار الصميعة، الرياض، 1997.
- علي ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، ج4، ج5، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، دت.
- علي بن الحسن بن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما ينسب لأبي الحسن الأشعري، ط2، دار الفكر، دمشق، 1399هـ.
- عمار جبدل وشافعي محمد عبد اللطيف، وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية ودورها في البناء الحضاري، أعمال الملتقى الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، الجزائر، 2017.
- عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت.
- عبد المجيد تركي، مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم والباجي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- عمار الطالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- عزيز أبو شرع، موقف الأشاعرة من ابن رشد وكتاب الكشف في الأسباب الأشعرية لأفول الرشدية، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، عدد 25، المجلد السابع، صيف 2018، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2018.
- عبد القادر بوعرفة، العرب أسئلة الماضي والحاضر والمستقبل، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016.
- فهمي جدعان، الحنحة بحث في جدلية الديني والسياسي في الإسلام، ط3، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014.
- شمس الدين الذهبي، سير أعلم النبلاء، إشراف حسان عبد المنان، ط1، ج1، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004.